

التبيان في تفسير القرآن

(409) الثاني - قال مجاهد: إنه مثل ضربه لعبادتهم الاوثان التي لاتملك، شيئاً، والعدول عن عبادة الله الذي يملك كل شيء، والمعنى أن الاثنين المتساويين في الخلق إذا كان أحدهما قادراً على الانفاق مالكا، والآخر عاجزاً لا يقدر على الانفاق لا يستويان، فكيف يسوى بين الحجارة التي لاتتحرك، ولاتعقل، وبين الله تعالى القادر على كل شيء، الرازق لجميع خلقه، فبين بذلك لهم أمر ضلالتهم وبعدهم عن الحق في عبادة الاوثان. ثم قال " الحمد لله " أي الشكر له تعالى، على نعمه، لا يستحقه من لانهمة له، " ولكن أكثرهم لا يعلمون " ذلك. وفي هذه الآية دلالة على أن المملوك لا يملك شيئاً، لان قوله " مملوكا لا يقدر على شيء " ليس المراد به نفي القدرة، لانه قادر على التصرف، وإنما المراد أنه لا يملك التصرف في الاموال، وذلك عام في جميع ما يملك ويتصرف فيه. قوله تعالى: (وضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شيء وهو كل على مولاه أينما يوجهه لا يأت بخير هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم) (76) آية بلاخلاف. قيل في معنى ضرب هذا المقل قولان: أحدهما انه مثل ضربه الله في من يؤمل الخير من جهته، وفي من لا يؤمل، فيؤمل الخير كله من الله تعالى، لامن جهة الاوثان والعباد، فلا ينبغي أن يسوى بينهما في العبادة. الثاني - انه مثل للكافر والمؤمن، ووجه التقابل في ضرب المثل بهذين الرجلين أنه على تقدير: ومن هو بخلاف صفته " يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم " في تدبير الامور بالحق، وهذا زيادة في ضرب المثل من الله تعالى، فإنه يقول: ان الرجلين إذا كان أحدهما أبكم لا يقدر على شيء، وهو الذي لا يسمع